كرّاس الإنتاج الكتابي

❖ الموضوع الأول:

خرجت يوما للنزهة و فجأة تغير الطقس. ارو ما حدث.....

❖ التحرير:

نحن في فصل الخريف وكان الوقت أصيلا، و للأصيل جمال يغري بالتنزه، فخرجت مع ابنة خالي إلى الحديقة العمومية للتجول . السماء زرقاء مغشاة ببعض السحب، و نظرات الشمس سقيمة فاترة و أشجار الحديقة خضراء يانعة تبعث السكينة في النفوس. و فجأة هبت ريح باردة تلبدت إثرها في السماء سحب كثيفة سوداء ثم قعقع رعد مخيف جعل قلوبنا ترتجف من الخوف. جمدنا في مكاننا و أخذنا نلتفت يمنة و يسرة علنا نجد بالقرب منا مكانا نأوي إليه و نحتمي به. لكن لم يكن بالحديقة بيت أو رواق و إنما هي أشجار لا تمنع عنا القطر. طلبت النصيحة من ابنة خالي ، و لكنها كانت مثلي حائرة مضطربة و أخذنا نلتفت إلى كل أركان الحديقة مجددين البحث، و لحسن حظنا لمحنا سيارة واقفة فأسرعنا نحوها و لكن المطر أخذ ينهمر و ينزل كالمآزيب و ما كادت صاحبتها ترانا حتى أسرعت بفتح الباب و دعتنا إلى الركوب بجانب ابنها و ابنتها. فرحنا بذلك وشكرنا تلك السيدة التي ساعدتنا بفتح باب سيارتها و إيوائنا. أحبك يا خريف رغم تقلباتك المفاجئة لما فيك من أمطار تحيي الأرض و تنبت الزرع.

❖ الموضوع الثاني:

بمدينتك أسواق كثيرة، صف إحدى هذه الأسواق (سوق الخضر- سوق السمك- سوق القماش- سوق الحدادين.....)

❖ التحرير:

الفصل شتاء و لكن اليوم زاه كأنه الربيع، فالشمس مشرقة و الجو دافئ.

فني صبيحة هذا اليوم خرجت إلى سوق السمك لإشتراء سمك لفطورنا، فما إن وصلت حتى وجدته يزخر أناسا، قائما على قدم وساق . فالجلبة مستمرة، و الصياح متواصل و الإزدحام كثير. فهذا بائع القراطيس واقف في مدخل السوق واضع بضاعته على يده اليسرى ، صائح بأعلى صوته كاغذ! كاغذ! ليلفت نظر الناس إليه، فاشتريت واحدا منه كي لا تتلوث القفة ، و واصلت سيري حتى وقفت بي قدماي أمام جابية في وسط السوق مكسوة بالجليز المزركش و مملوءة ماء يسبح فيها سمك مختلف الأشكال و الألوان. بقيت لحظة أتمتع بتلك المناظر الخلابة ثم ذهبت أمعن النظر في السمك المعروض.

هاهم الباعة أمام سلعهم و قد جعل كل واحد منهم يبالغ في مدح سلعته بضروب التملق و صنوف التزويق، و يقسم بأن سمكه قد خرج من البحر قبل دقائق قليلة، و كان الآخر ينادي قائلا: بيبان ! حوت البيبان! و الآخر يقول حوت الشابة! حوت الشابة! فأخذت أخير ثم اشتريت ما طاب لي و عدت راضية النفس مبتهجة بما رأيت من نظافة و حسن معاملة.

❖الموضوع الثالث:

خرجت ذات يوم للتنزه في الغابة فرأيت أحدهم يقوم بعمل يضر بالبيئة فلم يرق لك ذلك و تقدمت منه مؤنبا. احك ما وقع مبينا ما آل اليه الأمر في النهاية

❖التحرير:

أصبح الجو جميلا و الطقس دافئا، و تاقت نفسي للنزهة، فخرجت إلى الغابة القريبة من البلدة.

استقبلتني الحقول بعشبها الأخضر الفواح، و أشجارها الظليلة ، و بينما أنا أسير نشوانة إذ بي أشاهد أمامي صبيا يحطم أغصان شجرة مازالت في فترة نموها. فحز في نفسي هذا المشهد و دنوت منه وقلت له: "لماذا تحطم هذه الشجرة الجميلة المباركة؟" لم يلتفت إلي ولم يبالي بكلامي، و واصل قطع الأغصان فلم أستطع أن أتمالك نفسي و منعته عن ذلك بعنف مبينة له الفوائد المتعددة للشجرة قائلة له: "أيها الصبي إنك تحطم شيئا ثمينا دون أن تعرف قيمته. ألا تعلم أن هذه الشجرة و أمثالها تعطينا الخشب لنصنع به أبواب بيوتنا و شبابيكنا ألا تعلم أن السرير الذي تنام عليه و الكرسي الذي ترتاح فوقه و الطاولة التي تدرس عليها و السبورة التي تكتب فوقها كل ذلك من خشب الأشجار؟ هل تظللت يوما أثناء اشتداد لفح الحر بشجرة ؟ هل تمتّعت بالثّمار و الغلال ؟ ألا تعلم أن الشجرة هي من ثروات البلاد المهمة ؟ " و واصلت كلامي دون أن أتوقف.

كان الصبي مندهشا من قولي ثم طأطأ رأسه و انصرف. أما أنا فالتفت إلى الشجرة أتأملها فشعرت كأنها تخاطبني شاكرة صنيعي و أحسست بسرور ثم أتممت نزهتي .

❖الموضوع الرابع:

وقفت في محطة القطار تنتظر وصول القطار. تحدث عما شاهدت.....

❖التحرير:

تملكتني فرحة عارمة عندما تلقيت برقية من أخي يعلمنا فيها بموعد قدومه في القطار.

ذهبت إلى المحطة ودخلت غرفة الانتظار فإذا بها تعج بالناس و أمام شبابيك بيع التذاكر صفوف طويلة من المسافرين ، والناس كلهم في حركة دائبة على قدم وساق بين رائح و غاد، أولئك يحزمون أمتعته و الآخرون يستوفون إجراءات السفر، خلق عظيم يتدافع متباين الأشكال و الألوان، ثم اتجهت إلى ساحة فسيحة أزاحم الحشود حتى لفظني الزحام إلى داخل المحطة فإذا هي تزخر بالناس منهم من يترقب القطار القادم و منهم يودع قريبا أو صديقا، و منهم شرذمة من الباعة الجوالين قد اندست في وسط الزحام.

هذا بائع الصحف يجهر برواية الأحداث محاولا بيع مجلة أو جريدة بسرعة فائقة، و هذا بائع التحف البخسة و الحلي البراقة، و هؤلاء حمالون يدفعون أمامهم عربات مملوءة بالبضائع و الحقائب المكتنزة و السلال المتخمة. و كنت أنظر إلى الساعة التي أبت عقاربها أن تتزحزح، و أخيرا هاهو مقبل و قد دق جرس المحطة معلنا عن قدومه. إنه آت رويدا رويدا. و أخيرا هاهو قد وقف، فأخذت أبحث عن أخي حتى وجدته، و أخذت أقبله و أعانقه طويلا و أمطره بوابل من الأسئلة فيجيبني بثغر باسم ضاحك. لله ما أحلى اللقاء بعد الفراق الطويل .

❖ الموضوع الخامس:

سمعت جلبة في الحيّ فانتابك الفضول. إرو ما حدث.

❖ التحرير:

بينما أنا متمددة على الأريكة في غرفة الجلوس، و إذا بي أسمع جلبة. نظرت من النافذة لإستجلاء الخبر فإذا هم أولاد حينا قادمون إلى الساحة للّعب، مالئون الطريق ضجيجا و قهقهة و مرحا. و حينما وصلوا انقسموا إلى فريقين و شرعوا في اللعب. راقبتهم من النافذة فرأيت بعضهم يقول: "هيا اقذف الكرة قبل أن يفتكوها منك" و كان الآخرون يركضون وراء لاعب يراوغ و يبدع في المراوغة. أما المتفرجون فهم يشجعون اللاعبين بالصياح و التصفيق و إثر محاولات عديدة و تمريرات دقيقة و مراوغات جميلة، و فنيات رائعة و قذفات ساحقة تمكن أحد اللاعبين من تسجيل هدف. يا لفرحتهم الشديدة و يا لسرورهم العظيم. أمّا الفريق الآخر فقد بدا الحزن على وجوه أصحابه و أخذوا يلومون بعضهم بعضا. ثم استؤنف اللعب. و بينما هم كذلك اذ برجل يمر بجانبهم فسقطت الكرة على رأسه، صاح الرجل ثمّ أمسك الكرة و حاول أن يمزقها. تحلق به الأطفال معتذرين و توسّلوه بكلمات لطيفة و أخيرا قبل اعتذاراتهم و سلمهم الكرة بعدما نهاهم عن اللعب في الطريق العام و الاكتفاء بالساحة فقط، ثم استأنفوا لعبهم كانت السعادة تلوح على وجوه كل الأطفال، و كم تمنيت أن أكون معهم و أن أشاركهم بهجتهم و غبطتهم.

❖ الموضوع السادس:

كان يوما ممتعا.... إرو ما حدث.

❖ التحرير:

تروق لنا أطفال الحي الألعاب التي نقوم بها و خاصة لعبة الغميضة. فنجتمع يوم الأحد في ساحة بعيدة عن منازل السكان حتى لا نشوش عليم راحتهم.

و قبل الشروع في الألعاب نتفاهم لتعيين من يفتح باب اللعب. عينّا ألفة لأنّها أدرى و أمهر من الرفيقات الأخريات بهذه اللعبة، ثم أخرجت واحدة منا منديلا و جعلناه على عينيها. و ربطناه ربطا حكما. "لا! لا! إنّها ترى لأن المنديل شفاف!" ثم أحضرنا منديلا آخر قد أخرجته صديقتنا سلوى من جيبها وأعدنا الكرّة مرة ثانية وربطناه ربطا محكنا هاهي "لا ترى"، و بدأنا اللّعب، و قد لاح في عيوننا بريق السرور و أخذنا نجري ونركض و هي تتبعنا مستدلة بأصواتنا التي كنّا نرسلها من وقت لآخر. و كانت تصم الآذان و حركاتنا التي تشتت الأذهان " هيا اقتربي! زيدي واصلي الاقتراب! ها نحن بجانبك! لا تخافي هيا أسرعي!" و كانت تمشي و هي تتلمّس الحيطان خوفا من السقوط فيستفزّها الأمل تارة فتجري بخفة و نشاط غير عابئة بشيء، و طورا ينال منها التعب فتمشي متثاقلة و نحن نصفق تارة و نضحك أخرى و نجذبها من ثيابها أحيانا و أخيرا هاهي تمسك بيد صديقتها إيلاف قائلة: "ها قد وقعت في قبضتي يا شقيّة أتريدين الفرار؟ كلاّ إنك لا تستطعين، إنّي قابضة عليك بيد من حديد" و أخذت تتحسّسها و تتلمّسها ثمّ نطقت بإسمها. و عند ذلك نزعت عنها العصابة و و ضعناها من جديد

على عيني إيلاف. و استمرّ اللّعب حتى باغتنا الظلام فما ألذّ اللعب وما أحسن اللهو البريء.

❖الموضوع السابع:

شاهدت بائسا يتسوّل . صفه و بين شعورك.

❖ التحرير:

من الناس من حرمهم الدّهر متعة الحياة ، فهم يهيمون على وجه الأرض ، البؤس حليفهم والتعاسة ظلّهم.

ذات يوم بينما كنت سائرة إذ شاهدت بائسا جالسا قرب بيتي و كان يرتدي طربوشا يظهر منه شعره الموشح بالبياض، بارز الأنف، واسع الفم، شفّته السفلى متورمة و متدنية و عيناه منتفختان يكاد لا يرى بها شيئا، وهو يرتدي ثيابا مرقّعة، و كأنّ تلك الرّقع أرقام يعدّها ليالي عذابه. هاهو يستجدي و يقول: "يا أصحاب الخير حسنة لله! ارحموا هذا البائس المحتاج! سدّوا رمقي بقطعة خبز! لله في سبيل لله! و كان كلّما جاد عليه أحد المارّين حسنة انطلقت من فيه دعوات محفوظة مسجّعة عذبة الرنين ثمّ يترنم بآيات من القرآن ليلفت إليه الأنظار و ليستدرّ العطف. آلمتني حالته و بحركة لا شعورية مددت يدي في جيبي و أخرجت دنانير لا أعرف عددها و سلّمتها إليه فأخذها ودعا بخير.

ما أشقى حياة البؤساء و المساكين! فلو تعاون السكّان على تحسين حالة إخوانهم الفقراء لما وجدت أحدا يستجدي .

❖ الموضوع الثامن:

بينما كنتم نائمين إذ بأحد أفراد العائلة يصاب بمرض و يحس بألم. أذكر ما فعلتم.

❖ التحرير:

بينما كنّا نائمين إذ بصيحة غريبة انبعثت من بيت أخي . نهضت من فراشي لأستطلع الخبر فوجدت أخي يتلّوى و يئن . و كان القيء قد أجهده فاصفرّ وجهه. كانت أمّي تسنده إلى صدرها الله ثمّ مدّدته على السرير و دهنته ببعض المراهم التي تخفف الآلام و الأوجاع ثمّ دثّرته بغطاء صوفي سميك، لكنّ حالته لم تتحسن و استمرّ يتوجّع و يتلوّى طول الليل .

و في الصباح الباكر استدعى أبي الطّبيب فجاء حاملا محفظته، سلّم ثمّ أقبل على أخي يفحصه فجسّ نبضه ثم وضع سماعته على صدره وإثر ذلك أخذ ينقر بأنامله على بطن أخي و يضغط بإبهامه في جهة معيّنة، و كان أخي يتألّم و يئنّ كلّما فعل الطّبيب ذلك .

كنت ألاحظ الطبيب بانتباه شديد فشاهدت أثر التفكير على محيّاه و أخيرا قال لأبي: "أخشى أن يكون مصابا بمرض الزائدة الدودية و إنّي أرى ضرورة إجراء عملية جراحية مستعجلة."

جمدنا في أماكننا و صاحت أمّي:"اللّهم ألطف بإبني ! يا رب !!!"

طمئنّها الطبيب قائلا: "لاتخافي يا سيدتي، إنّ العمليّة التي أشرت بها ضرورية و هي غير خطيرة خاصة بعد تقدّم العلم في الجّراحة، ثمّ حرّر مكتوبا وقال لأبي: "إحمل ابنك إلى المستشفى و سلّمهم هذا المكتوب."

لقد نزل الحزن و السّكون على منزلنا خاصّة بعدما وقع حمل أخي إلى المستشفى. فاللّهم لطفك ! اللّهم إشفي أخي و أرجعه إلينا سليما معافى.

❖ الموضوع التاسع:

خفت مرة خوفا شديدا. قصّ ذلك.

❖ التحرير:

كانت الليلة مظلمة و البرد شديدا، و فجأة تذكر أبي حاجته للسجائر.

فتغير ميزان دقات قلبي و شعرت بالخوف لكن علي أن أطيع والدي، و أن أقضي حاجته. و لمّا أمرني بارحت المنزل مكرها، مسرع الخطى.... و أثناء عودتي سمعت صوتا غريبا.... ما مصدر الصوت يا ترى؟ توقفت عن المسير فانقطع الصوت ، و لمّا جريت اشتدّ الصّرير فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم و تلوت ما أعرفه من آيات.... و لكن هيهات .... ثمّ رفعت صوتي منشدا لأبدّد الخوف الجاثم عليّ، و لكن الصوت كان يتبعني فضاعفت سرعتي و أخيرا وصلت إلى المنزل مصفرّ الوجه و سلّمت السّجائر لأبي فسألني: "ما بك؟" وضعت يدي في جيبي لأعطيه ما تبقّى من النقود فسمعت نفس الصوت الذي سمعته في الطريق . و عند ذلك حلّت عقدة لساني و بدت الابتسامة على وجهي و قصصت الحكاية على مسامع أبي و أمّي و إخوتي فضحكوا جميعا مني و قالوا بصوت واحد: "أيها الجّبان!"

❖ الموضوع العاشر:

شاهدت أو عشت حادثا ظهرت فيه شجاعة أحد الحاضرين.

❖ التحرير:

لقد ألححنا على حسّان الملاّح الذي يملك زورقا أن يمضي بنا في نزهة داخل البحر على مركبه الصغير.

هو شاب في ريعان الفتوّة ، ذو نفس أبيّة و قلب جريء فوافق على اقتراحنا. أخذ الزّورق يمشي الهوينا و قد تعالى هتافنا و هرجنا و مرحنا وملأنا الفضاء والسّكون بضحكاتنا و قهقهاتنا. و كان حسّان يهشّ في وجوهنا و يبشّ و لم نشعر بإبتعادنا عن الشاطىء و توغّلنا في البحر. و عندما أدركنا ذلك إستولى الهلع على قلوبنا و زادنا تراقص الزورق على صفحات الماء فزعا و رعبا.

فجأة اختفى الهدوء و تغير الطقس فاشتدّت عاصفة وعرفنا أنّنا في خطر و صار المركب يجري على هوى الأمواج و حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد سقطت إحدى الفتيات في البحر، رباه ما هذه المصيبة! ماذا نفعل؟ صاح بنا حسان قائلا إنزلوا لأسفل القارب و تمسكوا بأخشابه و سوف أنقذ رفيقتكم من الغرق . و فعلا فقد رمى بنفسه في البحر مصارعا الأمواج وبالأمواج تصدّه لكنه لم ييأس، و بعد جهد عنيف تمكن من إمساك صديقتنا و جرّها إلى القارب و رفعها إليه حمدنا الله تعالى و إلتفتنا إلى حسّان نشكره . و ندعو له ثم تناول دفّة المركب و رجع بنا إلى الشاطئ.

إنّ هذا الشّاب لجدير بالتقدير و الإعجاب و لولا شجاعته لكانت صديقتنا في عداد الأموات.

❖"العودة المدرسية":

استيقظت صباح هذا اليوم باكرا و فكري مشغول بالرجوع إلى المدرسة .

و بعد الانتهاء من غسل أطرافي و لبس ثيابي و تناول فطوري أخذت محفظتي وتوجهت قاصدا مدرستي.

و في الطريق صادفت بعض الأصحاب فتبادلنا التحيات و تحادثنا عن ذكريات العطلة اللذيذة، و لما وصلنا أمام المدرسة شاهدنا تجمعا من التلاميذ و الأولياء و كلهم ينتظر موعد فتح الباب للدخول، و بغتة فتح الباب فاندفع التلاميذ نحوه في ازدحام شديد، كل واحد يريد الدخول قبل غيره .

دخلت الساحة و اجتمعت برفاقي كان التلاميذ ممتلئين نشاطا وعزما، و قد كبرت قاماتهم واشتد عودهم لقد امتلأت الساحة بهم، و كنت تراهم متجمعين مثنى وثلاث ورباع وهم يتحدثون في جو من الصداقة والشوق. كان كل واحد منهم يقص على رفاقه ما فعله في العطلة، و أحيانا يلاحظون وجود تلميذ جديد فيقتربون منه ويحاولون التعرف عليه واكتساب صداقته. و لما حان الوقت رن الجرس فاصطففنا ثم دخلنا الأقسام.

أحبك يا مدرستي فيك ألتقي بأصحابي و فيك أتعلم لأنال الدرجات العلى فأنفع بلادي وأهلي.

❖"الخريف":

ها قد ضعفت حرارة الشمس وأصبحت نظراتها كنظرات سقيم يرى الحياة من وراء نقاب الموت. ها قد تمردت الأرياح وانتزعت عزم البحار لتبيد به ما أخرجته الأرض من صدرها.

الأغصان ترتجف متأففة، و الصخور تكاد تهبط من أمام السيول و الأمطار و كل ما في الأرض يرتعش من غضب العواصف ارتعاد العبيد المذنبين أمام الملوك القساة. السواقي المترنمة قد غارت ثم ظهرت أنهارا و جرفت بتياراتها الجذوع و الحصى إلى أعماق الوادي، و الغيوم الرمادية قد تراكمت فوق خطوط الشفق و ملأت الفضاء.

❖"عيد الأضحى":

ها قد أقبل عيد الأضحى . النفوس مسرورة، و الوجوه مبتسمة ، و الشوارع مزدانة بالأعلام المرفرفة، و الفوانيس الملونة.

و في صبيحة هذا اليوم السعيد أخرجنا الكبش و أحضرنا السكين ثم أخذنا ننتظر قدوم الجزار انتظرنا و انتظرنا، و لكنه لم يأت. ترى ما به ؟ لم تأخر ؟ هل هو مريض ؟ هل وقع له مكروه لا قدر الله ؟ - ارتفعت الشمس في السماء و أصبحنا نشم رائحة اللحم المشوي الذي يفوح من ديار الجيران أخذ أخي الصغير يبكي و يقول: أريد أن آكل اللحم المشوي و أخذت أختي تقول: إلى متى سنبقى على هذه الحال ؟ لماذا لم تذبح لنا الكبش يا أبي؟ أجاب أبي: ما تعودت أن أذبح يا بنيتي، و لكني سأجرب. سأعتمد على مساعدتكم ثمّ طرحنا الكبش أرضا، و بينما نحن كذلك إذ قدم الجزار يحمل بيده سكينا و ساطورا و تقدم من أبي معتذرا عن تأخره ، مدعيا أن أسبابا قاهرة جعلته يتأخر.

لاحت علامات الإرتياح على وجه أبي و قال له: هيا، أسرع فكلنا شوق للأكل . لقد قلقنا من تأخرك لم يستطع الأطفال الصبر فدفعوني إلى أن أتولى الأمر بنفسي.

❖ الموضوع الثامن:

بينما كنتم نائمين إذ بأحد أفراد العائلة يصاب بمرض و يحس بألم. أذكر ما فعلتم.

❖ التحرير:

بينما كنّا نائمين إذ بصيحة غريبة انبعثت من بيت أخي . نهضت من فراشي لأستطلع الخبر فوجدت أخي يتلّوى و يئن . و كان القيء قد أجهده فاصفرّ وجهه. كانت أمّي تسنده إلى صدرها الله ثمّ مدّدته على السرير و دهنته ببعض المراهم التي تخفف الآلام و الأوجاع ثمّ دثّرته بغطاء صوفي سميك، لكنّ حالته لم تتحسن و استمرّ يتوجّع و يتلوّى طول الليل .

و في الصباح الباكر استدعى أبي الطّبيب فجاء حاملا محفظته، سلّم ثمّ أقبل على أخي يفحصه فجسّ نبضه ثم وضع سماعته على صدره وإثر ذلك أخذ ينقر بأنامله على بطن أخي و يضغط بإبهامه في جهة معيّنة، و كان أخي يتألّم و يئنّ كلّما فعل الطّبيب ذلك .

كنت ألاحظ الطبيب بانتباه شديد فشاهدت أثر التفكير على محيّاه و أخيرا قال لأبي: "أخشى أن يكون مصابا بمرض الزائدة الدودية و إنّي أرى ضرورة إجراء عملية جراحية مستعجلة."

جمدنا في أماكننا و صاحت أمّي:"اللّهم ألطف بإبني ! يا رب !!!"

طمئنّها الطبيب قائلا: "لاتخافي يا سيدتي، إنّ العمليّة التي أشرت بها ضرورية و هي غير خطيرة خاصة بعد تقدّم العلم في الجّراحة، ثمّ حرّر مكتوبا وقال لأبي: "إحمل ابنك إلى المستشفى و سلّمهم هذا المكتوب."

لقد نزل الحزن و السّكون على منزلنا خاصّة بعدما وقع حمل أخي إلى المستشفى. فاللّهم لطفك ! اللّهم إشفي أخي و أرجعه إلينا سليما معافى.

❖ الموضوع التاسع:

خفت مرة خوفا شديدا. قصّ ذلك.

❖ التحرير:

كانت الليلة مظلمة و البرد شديدا، و فجأة تذكر أبي حاجته للسجائر.

فتغير ميزان دقات قلبي و شعرت بالخوف لكن علي أن أطيع والدي، و أن أقضي حاجته. و لمّا أمرني بارحت المنزل مكرها، مسرع الخطى.... و أثناء عودتي سمعت صوتا غريبا.... ما مصدر الصوت يا ترى؟ توقفت عن المسير فانقطع الصوت ، و لمّا جريت اشتدّ الصّرير فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم و تلوت ما أعرفه من آيات.... و لكن هيهات .... ثمّ رفعت صوتي منشدا لأبدّد الخوف الجاثم عليّ، و لكن الصوت كان يتبعني فضاعفت سرعتي و أخيرا وصلت إلى المنزل مصفرّ الوجه و سلّمت السّجائر لأبي فسألني: "ما بك؟" وضعت يدي في جيبي لأعطيه ما تبقّى من النقود فسمعت نفس الصوت الذي سمعته في الطريق . و عند ذلك حلّت عقدة لساني و بدت الابتسامة على وجهي و قصصت الحكاية على مسامع أبي و أمّي و إخوتي فضحكوا جميعا مني و قالوا بصوت واحد: "أيها الجّبان!"

❖ الموضوع العاشر:

شاهدت أو عشت حادثا ظهرت فيه شجاعة أحد الحاضرين.

❖ التحرير:

لقد ألححنا على حسّان الملاّح الذي يملك زورقا أن يمضي بنا في نزهة داخل البحر على مركبه الصغير.

هو شاب في ريعان الفتوّة ، ذو نفس أبيّة و قلب جريء فوافق على اقتراحنا. أخذ الزّورق يمشي الهوينا و قد تعالى هتافنا و هرجنا و مرحنا وملأنا الفضاء والسّكون بضحكاتنا و قهقهاتنا. و كان حسّان يهشّ في وجوهنا و يبشّ و لم نشعر بإبتعادنا عن الشاطىء و توغّلنا في البحر. و عندما أدركنا ذلك إستولى الهلع على قلوبنا و زادنا تراقص الزورق على صفحات الماء فزعا و رعبا.

فجأة اختفى الهدوء و تغير الطقس فاشتدّت عاصفة وعرفنا أنّنا في خطر و صار المركب يجري على هوى الأمواج و حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد سقطت إحدى الفتيات في البحر، رباه ما هذه المصيبة! ماذا نفعل؟ صاح بنا حسان قائلا إنزلوا لأسفل القارب و تمسكوا بأخشابه و سوف أنقذ رفيقتكم من الغرق . و فعلا فقد رمى بنفسه في البحر مصارعا الأمواج وبالأمواج تصدّه لكنه لم ييأس، و بعد جهد عنيف تمكن من إمساك صديقتنا و جرّها إلى القارب و رفعها إليه حمدنا الله تعالى و إلتفتنا إلى حسّان نشكره . و ندعو له ثم تناول دفّة المركب و رجع بنا إلى الشاطئ.

إنّ هذا الشّاب لجدير بالتقدير و الإعجاب و لولا شجاعته لكانت صديقتنا في عداد الأموات.

❖"العودة المدرسية":

استيقظت صباح هذا اليوم باكرا و فكري مشغول بالرجوع إلى المدرسة .

و بعد الانتهاء من غسل أطرافي و لبس ثيابي و تناول فطوري أخذت محفظتي وتوجهت قاصدا مدرستي.

و في الطريق صادفت بعض الأصحاب فتبادلنا التحيات و تحادثنا عن ذكريات العطلة اللذيذة، و لما وصلنا أمام المدرسة شاهدنا تجمعا من التلاميذ و الأولياء و كلهم ينتظر موعد فتح الباب للدخول، و بغتة فتح الباب فاندفع التلاميذ نحوه في ازدحام شديد، كل واحد يريد الدخول قبل غيره .

دخلت الساحة و اجتمعت برفاقي كان التلاميذ ممتلئين نشاطا وعزما، و قد كبرت قاماتهم واشتد عودهم لقد امتلأت الساحة بهم، و كنت تراهم متجمعين مثنى وثلاث ورباع وهم يتحدثون في جو من الصداقة والشوق. كان كل واحد منهم يقص على رفاقه ما فعله في العطلة، و أحيانا يلاحظون وجود تلميذ جديد فيقتربون منه ويحاولون التعرف عليه واكتساب صداقته. و لما حان الوقت رن الجرس فاصطففنا ثم دخلنا الأقسام.

أحبك يا مدرستي فيك ألتقي بأصحابي و فيك أتعلم لأنال الدرجات العلى فأنفع بلادي وأهلي.

❖"الخريف":

ها قد ضعفت حرارة الشمس وأصبحت نظراتها كنظرات سقيم يرى الحياة من وراء نقاب الموت. ها قد تمردت الأرياح وانتزعت عزم البحار لتبيد به ما أخرجته الأرض من صدرها.

الأغصان ترتجف متأففة، و الصخور تكاد تهبط من أمام السيول و الأمطار و كل ما في الأرض يرتعش من غضب العواصف ارتعاد العبيد المذنبين أمام الملوك القساة. السواقي المترنمة قد غارت ثم ظهرت أنهارا و جرفت بتياراتها الجذوع و الحصى إلى أعماق الوادي، و الغيوم الرمادية قد تراكمت فوق خطوط الشفق و ملأت الفضاء.

❖"عيد الأضحى":

ها قد أقبل عيد الأضحى . النفوس مسرورة، و الوجوه مبتسمة ، و الشوارع مزدانة بالأعلام المرفرفة، و الفوانيس الملونة.

و في صبيحة هذا اليوم السعيد أخرجنا الكبش و أحضرنا السكين ثم أخذنا ننتظر قدوم الجزار انتظرنا و انتظرنا، و لكنه لم يأت. ترى ما به ؟ لم تأخر ؟ هل هو مريض ؟ هل وقع له مكروه لا قدر الله ؟ - ارتفعت الشمس في السماء و أصبحنا نشم رائحة اللحم المشوي الذي يفوح من ديار الجيران أخذ أخي الصغير يبكي و يقول: أريد أن آكل اللحم المشوي و أخذت أختي تقول: إلى متى سنبقى على هذه الحال ؟ لماذا لم تذبح لنا الكبش يا أبي؟ أجاب أبي: ما تعودت أن أذبح يا بنيتي، و لكني سأجرب. سأعتمد على مساعدتكم ثمّ طرحنا الكبش أرضا، و بينما نحن كذلك إذ قدم الجزار يحمل بيده سكينا و ساطورا و تقدم من أبي معتذرا عن تأخره ، مدعيا أن أسبابا قاهرة جعلته يتأخر.

لاحت علامات الإرتياح على وجه أبي و قال له: هيا، أسرع فكلنا شوق للأكل . لقد قلقنا من تأخرك لم يستطع الأطفال الصبر فدفعوني إلى أن أتولى الأمر بنفسي.

و تم ذبح الكبش و سلخه و تقطيعه. و كنا نحن الصغار في حركة دائبة. هذا يحمل سطل ماء و الآخر يغسل الرأس. و كانت أمي تشعل الكانون لتشوي اللحم، لقد تم كل شي على أحسن حال والحمد لله.

❖ "رحلة في الطائرة":

أطلق السائق التيار فدار المحرك برهة تزيد على الدقيقة و الطيارة ثابتة في موضعها، و ماهي إلا دقائق حتى بدأت تزحف على الأرض زحفا رقيقا، ثم استحال جريا ، و ظلت تدور على اليابس حتى التفت ودققت النظر، فإذا أنا قد صرت بين الأرض والسماء، من حيث لا أشعر.

كان يتخيل إليا أن الطيارة ثابتة في موضعها من الجو، لولا أنني كلما تشرفت من النافذة رأيت البيوت تصغر و تصغر، و أنظر إلى المقياس ، فإذا هو يحدث أنها تجري، ثم أرخي نظري إلى الأرض. فإذا هي التي تدور في اتجاهنا ، و لكن في تثاقل وهوادة.

أما الأرض فكان مرآها عجبا من العجب : هذه رقاع سندسية خضراء، لا تزيد مساحتها على متر في متر، و هذه الترع أو السكك الرئيسية، و تلك هي الحقول، وكلما أمعنا في الارتفاع ازدادت دقة ولطفا.

و ما برحنا نقلب النظر في هذه الطبيعة حتى آذنت الرحلة بالانتهاء فتمسكت بمجلسي، و شددت بيدي على مقعدي، و أخذت الطيارة تتدلى، و تتهابط، ثم نظرت فإذا نحن على الأرض و إذا الباب يفتح، و إذا الركب يتدلى.

❖ "وصف مكان مغلق":

يقع منزلنا وسط حديقة غنّاء محاطة بسياج حديدي تزيد المنزل حسنا و رونقا. إنه يطاول القصور في ارتفاعها ومتانة بنائه، عندما ترى خارجه فإنك تدرك داخله لأنه يعبّر لك عنه.

إنّه واسع الأرجاء به نوافذ كثيرة تفيض عليه النّور و الهواء . يحتوي على غرف عديدة واحدة للجلوس و السهرة و أخرى للإستقبال وغرفة للطّعام و ثلاث غرف للنّوم و به مطبخ و حمّام، قد فرشت غرفة الجّلوس بزرابي رائعة ، و أرائك فوقها حشايا وثيرة و وضعت فيها خزانة كبيرة جعل فيها أبي كتبه النفيسة المجلدة. أمّا غرف النوم ففي كل واحدة منها سرير عليه حشيّة و لحاف جميل مزركش بالحرير و قربه طاولة صغيرة فوقها منبّه و فانوس كهربائي. و في كل غرفة صوان للملابس. و أمّا غرفة الطعام ففيها طاولة مستديرة حولها كراسي عديدة و في زاوية منها ثلاّجة كبيرة، كما علّقت على الجدران صور تمثّل أنواع الثّمار والفواكه

و لكن أجمل حجرات المنزل غرفة الاستقبال إذ فيه أرائك وثيرة ، وكراسي هزازة، و زرابي قيروانية رائعة الجمال، مفروشة على الأرض، و ستائر زاهية الألوان و في الوسط طاولة مستديرة فوقها زهرية فيها ورود و رياحين، و في ركن من الأركان جهاز تلفاز جميل و كانت أرض المنزل مفروشة ببلاط ناصع البياض.

أحبك يا منزلي لأني فيك ولدت و نشأت و ترعرعت.

❖ "وصف مسكين":

هو قابع على حافة الطريق يستجدي بعين منكسرة و قلب جريح كثّ اللّحية، يعلو بشرته الصفراء، رداء من الغبار، هو حافي القدمين. هاهو يمدّ

يدا مرتجفة قد بدت عظام أصابعها كقضبان عارية ترتعش أمام العواصف ويقول: " الرحمة! الرحمة! لله في سبيل لله!" كان المحسنون يجودون عليه بما تيسّر أمّا الباقون فكانو لا يعبأون بنداءاته و لا بتوسلاته و كان كلّما قدّم إليه محسن صدقة أمطره بوابل من الأدعية و التشكّرات.

❖ "جو عائلي":

اجتمعت أسرتي في غرفة الجلوس للسّمر. وكان الطقس في الخارج باردا. فالرّيح بلغت أوجها تصفّر من ثقب الأبواب و تكاد تقلع الأشجار و المنازل و كانت الأمطار غزيرة جدّا.... تلفّف كل واحد منّا بدثار ليقي نفسه من البرد و قد حاولت أمّي تدفئة البيت بالكانون و لكن والدي منعها من ذلك. كان كل واحد منّا مشغولا بعمله فنحن نعدّ دروسنا و نقوم بواجباتنا، أمّا أمّي فكانت توزّع علينا كؤوس الشاي و الفواكه ثم تعود إلى مكانها لتزرد صدارا لأخي الصغير.

حان موعد المسلسل الأسبوعي بالتلفزة فاتّجه كل واحد منّا ليتمتّع بالنّظر إلى حوادثه المثيرة و وقائعه الرائعة، عشنا مع أبطاله و شاركناهم حيرتهم و أزماتهم و فجأة انتهى المسلسل في موقف كنّا متشوّقين لمعرفة امتداداته و نتائجه ، و عند ذلك اندفعنا نعلّق بالاستحسان حينا و عدم الرّضا حينا آخر وكثيرا ما كانت آراؤنا تختلف و تتعارض و أخيرا قام كلّ واحد منّا إلى فراشه لينام راضيا عن سهرته التي جمعت الأسرة في جو عائلي لطيف.

❖ "الغربة":

قلت لصاحبي يوم رجعت إلى بلادي : لست أدري كيف أشرح لك مشاعري و أنت لم تعرف مرارة الغربة و لا مرضا اسمه مرض الحرمان من الوطن... تغادر قومك و تجتاز حدود بلادك فتصفعك نظرة احتقار شرطي الموانىء و هو يتصفح جواز سفرك، ثم تلقى من بني جنسه ماهو أدهى و أمر ... تبحث عن شغل فيتهمونك بأنّك جئت تستل الخبز من أفواههم ، حتى و إن كنت أنت الخبار... ! تمشي في شوارعهم فيستهجنونك ....! سمعتك سيئة مهما كنت ومهما فعلت ...!

❖ "الفلاّح":

وجه أسمر لفحته أشعة الشمس بوهجها ، و قرّسه البرد بزمهريره ، و عينان برّاقتان يشعّ منهما الجدّ و العزيمة، و صدر عريض يحتضن قلبا كبيرا مفعما بالصبر والقناعة... ذلك هو الفلاّح الذي يعيش مع الطبيعة غاضبة أو راضية، عابسة أو ضاحكة ... يعيش عيشا بسيطا، بعيدا عن ترف المدينة و رقّة الحضر، و يكرّس حياته لخدمة أرضه و غرس أشجاره و تربية مواشيه.

إنّه مثال العمل الدائم و النشاط المستمرّ .. و قد يرى بعضهم في الفلاح إنسانا متخلفا جاهلا بأسباب الحضارة، بعيدا عن حياة المدينة، و ينظرون إليه نظرة فيها شيء من التقزز و الإحتقار. هذه النظرة - إن وجدت عند البعض، يجب أن تزول، بل يجب أن تتحول إلى احترام و إكبار و تقدير، باعتباره مصدر معيشتنا و ولي نعمتنا. فلولا الفلاحون الذين يعيشون منقطعين في القرى و الأرياف ، يزرعون الحبوب و يغرسون الأشجار، و يربّون الأبقار و الأغنام و النّحل و الدجاج ، لما كان عندنا في المدن خبز و لا خضر، و لا فاكهة، و لا لحم، و لا حليب، و لا جبن، و لا عسل، و لا بيض...

أخذت السواقي و الأنهار الصغيرة ترتفع تدريجيا عند ضفافها حتى تفيض من فوقها أخيرا على الحقول و البساتين و تجرف الأشجار و تقطع جذور النباتات، و تطغى على الطرق العامة ... و خرج الرجال بالمجاريف ، و بنوا سدودا صغيرة لكن السيول المزبدة جرفتها.....

❖ "جني التّمور":

في فصل الخريف، عندما يحين موسم جني التمور، تعال إلى الغابة ومتّع الأنظار بجمال الباسقات و هي مثقّلة بثمارها، يحركها النسيم فتتمايل الأعذاق الذّهبية كأنها عرائس الفردوس تختال في حليها و زينتها... يتسلّقها العامل بسرعة و سهولة كصاعد في مدرج، و قد شدّ وسطه بمنطقة عريضة من الجلد الأحمر، و منجله مشدود إلى كتفه يستعمله في قطع الأعذاق عن العراجين، و يصعد في إثره ثان وثالث و رابع حسب طول النخلة أو قصرها...يقطع العامل العذق و يمدّه إلى من تحته، و هذا الأخير يسلّمه إلى من يليه، و هكذا ينتقل العذق من يد إلى أخرى حتى يصل إلى الأرض دون أن تنفصل التمور عن الشماريخ.

و في مكان من الغابة تفرش الحصر و تكدس فوقها الأعذاق، و بينما يشتغل فريق بالقطع، تنهمك مجموعة أخرى في فرز التّمور، فتزال البسرة والحشفة جانبا، و يوضع الجيّد النّقي في الصناديق الخشبية ذات الأحجام المتفاوتة، و من الغابة تنقل الصناديق إلى المخازن، و منها توسق إلى العاصمة و غيرها من المدن.

تلك هي النّخلة نستظلّ بظلّها و نتغذى بثمارها و نتّخذ من جريدها حطبا... و هي إلى جانب ذلك خضرة دائمة و جمال خالد. فما أكرمها من شجرة تهديك أحلى ثمرة !

وليد الكراي و آمنة بن عبد الله

❖ "حارس المرمى":

كان أحمد يشعر بأن خط دفاعه في حاجة إلى قائد يوجهه و يرشده طوال المباراة . و كان يدرك عدم يقظة دفاعه في تشديد الرقابة على مهاجمي الفريق المنافس الذي كان يضمّ في صفوفه عناصر شابّة تتمتّع كلّها بلياقة بدنية ممتازة ، و مؤهلات فنية رفيعة، فقد كان كل اللاعبين يعتمدون على السرعة الفائقة و التمريرات الأرضية الطويلة في الوقت المناسب و المكان المضبوط. و كانوا كلهم ينقضون على الكرة قبل لاعبي فريقه ، و يحكمون فيها تحكم الواثق بنفسه، و ينتشرون في جميع أرجاء الملعب، صارفين كل ما لديهم من طاقة بدنية و فكرية ...

و كان أحمد يتمتع بخبرة كبيرة في حراسة المرمى، فصمّم على أن ينتبه كثيرا إلى هفوات زملائه ، و يتشبّث بمرماه إلى آخر لحظة في المقابلة. فقد كان يرتمي على الكرة و يلقي بنفسه بين أقدام المهاجمين، لا يخشى خطرا أو إصابة و كان يقع على الأرض فتصطدم الكرة بجسمه ، فإذا حاول الوقوف وجد نفسه يصدّ قذيفة أخرى ، حتّى لكأنّما ركّب مغنطيسا في يديه وقدميه وجسمه لإتقاط الكرة ومنعها من دخول المرمى...

❖ "أمطار غزيرة":

ابتلعت الأرض المطر طوال يومين، و من ثم ارتوت ... وعندئذ طفقت برك من الماء تتشكّل هنا وهناك ، و امتلأت الجبال، فراحت سفوحها تبصق محتوياتها في السواقي، فتجعل منها سيولا جارفة ، و ترسلها مزمجرة في الأودية ...